

ملخص محاضرة مادة تاريخ اسيا الحديث والمعاصر المرحلة الثالثة.

اعداد :الاستاذ الدكتور :ازهار عبد الرحمن عبد الكريم.

عنوان المحاضرة **حروب الافيون ونظام المعاهدات الدولي (١٨٣٩ - ١٨٦٠) :**

أُستمدت هذه الحروب تسميتها من تجارة الأفيون التي فرضتها بريطانيا على الصين، لكن الأفيون في حقيقة الأمر لم يكن سوى السبب المباشر لحرب الأفيون الأولى، أمّا الأسباب الحقيقية وراء الحرب فكان الرفض المتكرر من الحكومة الصينية للإنتفاح، وعدم تجاوب الصينيين مع المطالب البريطانية المتعلقة بتحرير التجارة من القيود التي فرضتها الحكومة الصينية عليها، فضلاً عن رفض الجانب الصيني أزاء كل محاولة قامت بها بريطانيا لتبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين.

وفي مستهل القرن الثامن عشر بدأ أُستيراد الأفيون من الهند الى الصين، ولكن كان لدواع طبية، إلا إنّ أُستيراده أزداد خلال القرن التاسع عشر بكميات كبيرة، ولم يصبح الأفيون كارثة على الشعب الصيني إلا عندما أُحتكرت شركة الهند الشرقية- البريطانية حق الإتجار به، فعمدت الشركة الى إغراق جنوب الصين به أنطلاقاً من ميناء (كانتون) ، لاسيما وأنّ البضائع البريطانية مثل المنسوجات لم تحظ بالقبول، إذ كان الصينيون يفضلون منتجات بلادهم، لذا تحتم على الانكليز أن يسددوا أثمان مشترياتهم بالفضة، التي كانت قاعدة للمبادلات الدولية آنذاك، فتحوّلت تجارة شركة الهند الشرقية-البريطانية في الصين الى تجارة خاسرة، وللتعويض عن هذه الخسارة، اندفع البريطانيون للترويج لتجارة الأفيون في الصين.

وعلى الرغم من تحريمه من الحكومة الصينية، فإن تهريبه كان يتم على نطاق واسع، الأمر الذي جعل الاوضاع متوترة بين الصين وبريطانيا، وفي عام ١٨٣٣ فقدت شركة الهند الشرقية- البريطانية احتكار التجارة مع الصين وحل محلها ممثل التاج البريطاني مباشرة، مما يعني أنه في حالة وجود نزاع بين الصين وبين الشركة فإن ذلك النزاع يعرض مباشرة على التاج البريطاني، فضلاً عن أنّ أُستمرار رفض البريطانيين تنفيذ القوانين الصينية خلق وضعاً متوتراً في بكين عام ١٨٣٨، لإصدار أوامر التشديد في تنفيذ قرار تحريم أُستيراد الأفيون بسبب النتائج الأخلاقية والصحية السيئة الناتجة من تعاطيه.

وفي هذا الوضع المتأزم أرسلت الحكومة الصينية موظفاً لديها يدعى (لين)، الذي وصل الى (كانتون) في ربيع ١٨٣٩، فأصدر أمراً الى التجار الأجانب بتسليم كميات الأفيون كلها التي في حوزتهم والتوقيع على تعهد بعدم شحن أية كميات أخرى الى الصين تقادياً للعقوبة المالية ومصادرة تلك البضاعة في حالة نقضهم ذلك التعهد، وحاول الكابتن (ايليوت) المشرف البريطاني على شؤون التجارة أن يبطل مفعول الأمر، فأصدر تعليمات الى التجار البريطانيين بأن يرفضوا تسليم ما بحوزتهم من الأفيون، وهناك أرسل (لين) جنوده ليحاصروا مواقع وكلاء التجارة الخارجية، فأضطر الكابتن (ايليوت) الى تسليم صناديق الأفيون، وحينها أقدم (لين) على حرقها، وللإحتجاج على ذلك قام بعض البحارة البريطانيين بعصيان في مدينة (كانتون) أسفر عن مقتل احد الصينيين، فظهرت عندها مشكلة الإختصاص القضائي، حين رفض البريطانيون تسليم المسؤولين عن جريمة القتل، أقدم (لين) على منع السفن من توريد المواد الغذائية الى (هونغ كونغ) و(ماكاو) البريطانيتين.

كان هذا التوتر كافياً لإشعال الحرب بين الطرفين، لاسيما وأن المفاوضات بين الطرفين لم تجد نفعاً، فبعد أنقضاء أسابيع عدة عليها تم تبادل إطلاق النار في ٣/تشرين الثاني/١٨٣٩ بين الجانبين، فبدأ ما يعرف بـ (حرب الأفيون الأولى) (١٨٣٩ - ١٨٤٢)، التي أنهت بتوقيع الصين على معاهدة (نانكنغ) في ٢٩/اب/١٨٤٢ مع بريطانيا، وهي أول المعاهدات غير المتكافئة مع الدول الغربية، وتضمنت:-

- ١- فتح خمسة موانئ صينية أمام التجارة البريطانية وهي (كانتون واموي وفوتشو وونججو وشنغهاي)، مع منحهم امتياز إقامة الرعايا البريطانيين وعوائلهم ومؤسساتهم فيها.
- ٢- تسليم جزيرة هونغ كونغ لبريطانيا.
- ٣- على الصين أن تدفع غرامة مالية مقدارها ٦ ملايين دولار تعويضاً عن الأفيون الذي تم إحراقه.
- ٤- تخفيض قيمة الضرائب على البضائع البريطانية الى ٥% من قيمة البضاعة.
- ٥- منح بريطانيا امتياز (الدولة الأولى بالرعاية).

٦- أَسْتثناء الرعايا البريطانيين في موانئ المعاهدات من تطبيق القوانين الصينية ومعاملتهم وفق قوانين بلادهم.

وفي تلك الاثناء ، سارعت بقية الدول الغربية للحصول من الصين على الإمتيازات نفسها التي حصلت عليها بريطانيا، ففي عام ١٨٤٤ تم توقيع معاهدة (وانغ هيا) الامريكية- الصينية، وبموجبها حصلت الولايات المتحدة الامريكية على الامتيازات كلها التي منحت لبريطانيا، فضلاً عن أمتيازات أخرى أوسع نطاقاً، وفي العام نفسه وقعت المعاهدة الفرنسية- الصينية، إذ تمكنت فرنسا من فرض معاهدة (هوامبو) على الصين، وبموجبها حصلت فرنسا على ما تمتعت به بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، كما حصلت كل من بلجيكا والبرتغال والنرويج والسويد على أمتيازات مشابهة للإمتيازات التي حصلت عليها بريطانيا.

لم تقتنع الدول الغربية بما حصلت عليه من أمتيازات من الصين، بل تقدمت بمطالب جديدة طبقاً لبند (الدولة الاولى بالرعاية) طالبت بما تحصل عليه الأخرى، فطلبت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا حق إقامة مستوطنات في مدينة (شنغهاي)، وحق الدخول الى مدينة (كانتون)، وإخضاع الكمارك والبريد لسيطرتهم، الأمر الذي أثار حفيظة الصينيين، فأزداد الشعور المعادي للأجانب في البلاد.

وفي غمرة ذلك الصراع كان الشعب يعاني من آثار الحرب والمعاهدات غير المتكافئة نتيجة فرض الضرائب الجديدة وأستنزاف موارد البلاد وأرتفاع الأسعار وتعطل الكثير من الصناعات الحربية، ومن جهة أخرى أستمرت الدول الغربية في سعيها لإقامة علاقات دبلوماسية أكثر مع بكين، لإجبارها على فتح أسواقها بصورة أوسع أمام التجارة الاجنبية، وإتاحة حرية أكبر أمام تجارة الافيون والعمال الصينيين، ومنحهم حرية الملاحة في نهر (اليانغتسي)، ولما رفضت الصين هذه المطالب قررت الدول الغربية لاسيما بريطانيا وفرنسا على إرغام الصين بالقوة لتحقيق مطالبها، وحينها اتخذت بريطانيا من استيلاء القوات الصينية على إحدى السفن البريطانية الراسية في ميناء (كانتون) عام ١٨٥٦ حجة لشن حملة عسكرية على الصين، فبدأت ما تعرف بـ (حرب الافيون الثانية) (١٨٥٦-١٨٦٠)، التي أنتهت بتوقيع الصين على معاهدات (تيانتنسن) عام ١٨٥٨ مع روسيا والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا تضمنت:-

- ١- منح الدول الغربية أمتياز فتح سفارات لها في بكين مع حرية أنتقال المبشرين في البلاد.
- ٢- منحهم أمتياز الملاحة في نهر اليانغتسي، فضلا عن فتح أحد عشر ميناء أمام التجارة الأجنبية.

٣- إعفاء الأجانب من الخضوع للقضاء الصيني، وتشكيل محاكم مختلطة للنظر في الخلافات التي تقع بين الطرفين.

٤- تخفيض قيمة الضرائب على البضائع الأجنبية الى (٢,٥%) .

٥- فرض غرامة حربية على الصين مقدارها (٨) ملايين تاييل.

٦- إقرار مبدأ التسامح الديني مع المسيحيين.

وبعد أبرام معاهدات (تيانتنسن) عمدت بريطانيا وفرنسا الى غزو الصين ثانية، بحجة تلكأ الصينيين في التوقيع على هذه المعاهدات، فأرسلت كل من بريطانيا وفرنسا حملة عسكرية مشتركة أستولت بها على الحصون الصينية، وأنتهت هذه الحملة بتوقيع الصين على سلسلة جديدة من الإتفاقيات عام ١٨٦٠ عرفت بـ (اتفاقيات بكين)، التي تضمنت:-

١- منح السفراء الأجانب حق الإقامة في بكين.

٢- ضم جزيرة (كولون) الصينية الى القاعدة البريطانية في (هونج كونغ).

٣- فتح ميناء تيانتنسن أمام التجارة الأجنبية.

٤- إقرار شرعية الإتجار بالعمال الصينيين.

وبذلك فإن هذه المعاهدات غير المتكافئة التي فرضت على الصين شكلت نظام المعاهدات الصادم الذي لم تتحرر الصين منه حتى منتصف القرن العشرين، إذ كانت الوسيلة التي تحولت الصين من خلالها الى دولة شبه مستعمرة، فإن أقتطاع أجزاء من الصين ومنحها للدول الغربية مهد الطريق أمام التوغل الاستعماري الغربي بشكل أكبر داخل الصين، فضلاً عن إن هذه المعاهدات أثرت بشكل عميق في علاقات الصين مع الغرب، ويمكن أن نعد ان الحرية التي منحت للمبشرين المسيحيين يعني منحها تسامحاً أكبر، ولطالما كانت هذه البعثات التبشيرية

مدمرة للارث الثقافي الصيني، فضلاً عن إنَّ منح الاجانب حرية أكبر للتجارة كان يعني تدمير الإقتصاد الصيني فتزدت الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وهذا كله شكل بداية لانحلال حكم أسرة المانشو وضعفها وانهارها.